الفصل الثالث

مناهج الدعوة

ويشتمل على ثلاثة مباحث :

١ ـ التعريف بالمناهج الدعوية وبيان أنواعها وأهدافها .

٢ ـ التعريف بالمناهج الثلاثة :« العاطفي ، والعقلي ، والحسي ، وبيان أساليبها ، ومواطن استعمالاتها ، وخصائصها » .

٣ ـ الملامح العامة للمناهج ، وخصائصها العامة .

المبحث الأول

« التعريف بالمناهج ، وأنواعها ، وأهدافها »

أ ـ التعريف بالمناهج الدعوية :

سبق أن عرفنا مناهج الدعوة في التمهيد بقولنا :

مناهج الدعوة هي : « نُظُم الدعوة ، وخططها المرسومة لها » ، فيقال :

نظام العقيدة في الإسلام ، ونظام العبادة ، ونظام الاقتصاد ... وما إلى ذلك ، كما يقال :

نظام التبليغ ، ونظام التعليم ، ونظام التطبيق ... وهكذا ... .

كما يقال :

المنهج العاطفي ، والمنهج العقلي ، والمنهج الحسي ...

ب ـ أنواع المناهج الدعوية :

نظراً لكثرة أنواع المناهج الدعوية وتعددها ، يمكننا أن نقسمها من أربع حيثيات ، هي :

١ ـ من حيث واضعُها ، أو مصدرُها .

٢ ـ من حيث موضوعُها .

٣ ـ من حيث طبيعتُها .

٤ ـ من حيث ركائزُها .

١ ـ **التقسيم الأول : من حيث واضعُها ، أو مصدرُها :**

تنقسم المناهج الدعوية من هذه الحيثية إلى قسمين أساسيين ، هما :

أ ـ المناهج الربانية : وهي المناهج التي وضعها الشارع لهذه الدعوة عن طريق القرآن أو السنة ، فهي مناهج معصومة عن الخطأ ، وأصْلٌ للمناهج الدعوية كلها ... قال تعالى :

﴿ لِكُلٍ جَعَلْنا مِنْكم شِرْعةً ومِنْهاجاً ﴾ (١) .

ب ـ المناهج البشرية : وهي المناهج الدعوية التي يضعها الدعاة والعلماء باجتهادهم في أي جانب من جوانب الدعوة ، تطبيقاً للمناهج الربانية ، واعتماداً عليها ، وذلك بما يتناسب مع زمانهم ، ويتلاءم مع ظروف المدعوين من حولهم .

وهي مناهج تحتمل الخطأ والصواب ، كأي مسألة اجتهادية لايعدم المجتهد فيها أجراً أو أجرين ، وللدعاة أن يأخذوا منها أو يتركوا ماشاءوا ، اللهم إلا مناهج الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم التي أمرنا بالتزامها والأخذ بها والعض عليها بالنواجذ ـ كما سبق معنا في بيان مصادر الدعوة ـ .

٢ ـ **التقسيم الثاني : من حيث موضوعُها :**

تتنوع المناهج الدعوية من حيث موضوعها إلى أنواع عديدة ، تبعاً لتنوع الموضوعات التي تتناولها ، وذلك لشمول الدعوة الإسلامية لجميع جوانب الحياة الإنسانية ،

---

(١) الآية / ٤٨ / من سورة المائدة .

فهناك مناهج عقدية ، وعبادية ، واجتماعية ، واقتصادية ، وعسكرية ، وسياسية ، وصحية ، ورياضية ، وترويحية ، ... وما إلى ذلك .

فإن لكل جانب من هذه الجوانب خططاً ونظماً يضعها الدعاة والمربّون ، في ضوء المناهج الربانية ، وعلى أساس الأحكام الشرعية .

٣ ـ **التقسيم الثالث** : من حيث طبيعتُها :

تتنوع المناهج الدعوية أيضاً من حيث طبيعتها إلى مناهج دعوية خاصة وأخرى عامة ، وإلى مناهج فردية وأخرى جماعية ، وإلى مناهج نظرية ، وأخرى تطبيقية ... وهكذا ...

فلكل منهج من هذه المناهج طبيعته الخاصة به ، وميدانه الذي وضع له ، فالمنهج الخاص لايصلح تعميمه ، والمنهج العام لايصلح تخصيصه ، وهكذا ...

وقد جاءت الشريعة الإسلامية بأمثلة كثيرة لهذه المناهج العامة والخاصة وغيرها .

فقيام الليل كله أو بعضه وجوباً ، منهج عبادي خاص برسول الله ﷺ (١) .

واستئذان الأطفال الذين لم يبلغوا الحلم أو الذين بلغوه ، نظام خاص بهم ...(٢)

---

(١) انظر آيات سورة المزمل وتفسيرها .

(٢) انظر الآيات / ٥٨ ـ ٥٩ / من سورة النور ، وفي الآيات التي بعدها أنظمة خاصة أخرى ...

وهناك نظام عبادي عام يتجلى في أركان الإسلام العملية ، وهناك نظام لدعوة المسلمين ، ونظام لدعوة غيرهم ، وهكذا ...

٤ ـ التقسيم الرابع : من حيث ركائزها :

تتنوع المناهج الدعوية بجميع أنواعها السابقة من حيث ركائزها ، وذلك تبعاً لتنوع ركائز الفطرة الإنسانية الثلاث : القلب ، والعقل ، والحِسّ .

فما كان من المناهج مرتكزاً على القلب ، سمي : (المنهج العاطفي) .

وما كان منها مرتكزاً على العقل ، سمي : (المنهج العقلي) .

وما كان منها مرتكزاً على الحس ، سمي : (المنهج الحسي) أو (التجريبي) .

ولايمكن الفصل التام بين هذه المناهج نظراً لتلازم وترابط الركائز الفطرية في النفس البشرية ، فيكون وصفها بهذا النوع أو ذاك ، تبعاً لغلبة أو بروز هذا الجانب على غيره ...

وسيأتي معنا تفصيل هذه المناهج الثلاثة في المباحث التالية إن شاء الله .

جـ ـ أهداف المناهج الدعوية :

الهدف في اللغة : « الغَرَضُ توجَّهُ إليه السِّهام ونحوها ، والمطلب يوجه إليه القَصْد »[1] .

ومن هذا المعنى اللغوي يمكننا تعريف الهدف الدعوي : (بالمطلب

---

(١) انظر « المعجم الوسيط » مادة (هدف) (٢/٩٨٧) .

الذي يوجه إليه الدعاة قصدهم ، أو بالغاية التي يسعون من أجلها) .

ومن هنا استعمل الهدف والغاية أحياناً بمعنى الحكمة المرجوة من وراء الأمر بالشيء أو تشريعه ...

ويمكن تقسيم الأهداف الدعوية إلى نوعين أساسيين ، هما :

١ ـ أهداف خاصة وجزئية .

٢ ـ أهداف عامة وكلية .

فالأهداف الخاصة والجزئية مثل : الغاية التي شرعت من أجلها العبادات ، كالصلاة والصيام والزكاة ، والحج ، قال تعالى :

﴿ وأَقِمِ الصلاةَ إن الصلاة تَنْهى عن الفَحشاء والمنكر ... ﴾ (١)

وقال أيضاً :

﴿ يا أيها الذين آمنوا كُتِبَ عليكم الصيامُ كما كُتِبَ على الذين من قَبْلِكم ، لعلكم تَتَّقون ... ﴾ (٢) .

وقال :

﴿ خُذْ من أموالهم صَدَقَةً تُطَهِّرُهم وتُزَكِّيهم بها ، وصَلِّ عليهم إنَّ صَلاتَك سَكَنٌ لهم ... ﴾ (٣) .

وقال أيضاً :

﴿ ... لِيَشْهَدوا مَنافِعَ لهم ، ويَذْكروا اسمَ الله في أيامٍ معلوماتٍ على مارَزَقَهم من بَهيمَةِ الأنعام ﴾ (٤) .

---

(١) الآية / ٤٥ / من سورة العنكبوت .

(٢) الآية / ١٨٣ / من سورة البقرة .

(٣) الآية / ١٠٣ / من سورة التوبة .

(٤) الآية / ٢٨ / من سورة الحج .

والأهداف العامة الكلية مثل :

ماجاء في قوله تعالى : ﴿ وأَقِمِ الصلاةَ لِذِكْري ﴾ [1] .

وما جاء في الحديث الشريف :

« إنما جُعِلَ الطواف بالبيت ، وبين الصفا والمروة ، ورمي الجمار لإقامة ذكر الله » [2] .

وهذه الأهداف العامة الكلية تتنوع إلى نوعين :

١ ـ أهداف مجملة .

٢ ـ أهداف مفصلة .

فالأهداف المجملة ، مثل قوله تعالى :

﴿ وما خَلَقْتُ الجنَّ والإنسَ إلا ليعبُدون * ماأُريدُ منهم مِنْ رِزْقٍ ، وماأُريدُ أنْ يُطعِمون * إنَّ الله هو الرزّاقُ ذو القوة المتين ﴾ [3] .

ومثل قولنا في هدف العمل الدعوي :

« تحقيق مرضاةِ الله عز وجل على جميع المستويات ، وفي جميع الميادين » .

والأهداف المفصلة ، مثل قولنا في تفصيل الأهداف الدعوية العامة :

١ ـ إحقاق الحق وإبطال الباطل : قال تعالى :

---

(١) الآية / ١٤ / من سورة طه .

(٢) ساق الحديث صاحب « جمع الفوائد » محمد بن سليمان المغربي وقال عنه : للترمذي وأبو داود بلفظه ، انظر رقم (٣٤٢٥)(٥١٥/١) طبعة دار القبلة جدة .

(٣) الآيات / ٥٦ ـ ٥٨ / من سورة الذاريات .

﴿ ليُحِقَّ الحقَّ ويُبْطِلَ الباطلَ ولو كَرِهَ المُجْرمون ﴾ [1] وقال :

﴿ وقاتِلوهُم حتى لاتكونَ فِتْنةٌ ويكونَ الدينُ كلُّه لله ﴾ [2] .

٢ ـ إنقاذ الناس من الضلال إلى الهدى ، ومن الظلمات إلى النور : قال تعالى :

﴿ الله وَلِيُّ الذين آمنوا يُخرجُهم من الظلمات إلى النور ، والذين كفروا أولياؤُهم الطاغوتُ ، يُخرجونَهم من النور إلى الظلمات ... ﴾ [3] .

٣ ـ بناء الشخصية المسلمة والمجتمع المسلم : قال تعالى :

﴿ قُلْ إنَّ صلاتي ونُسُكي ومَحْيايَ ومَماتي لله رب العالمين * لاشريك له وبذلك أُمِرْتُ ، وأنا أوَّلُ المسلمين ﴾ [4]. وقال :

﴿ هو الذي بَعَثَ في الأُمّيين رسولاً منهم ، يَتْلو عليهم آياته ، ويُزَكّيهم ، ويُعلّمُهم الكتابَ والحكمةَ ، وإنْ كانوا من قَبْلُ لفي ضَلال مُبين ﴾ [5] .

ومثل قول ربعي بن عامر رضي الله عنه حين عبر عن أهداف دعوته ، والغاية من جهاده ، فقال لرستم :

« الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ،

---

(١) الآية / ٨ / من سورة الأنفال .

(٢) الآية / ٣٩ / من سورة الأنفال .

(٣) الآية / ٢٥٧ / من سورة البقرة .

(٤) الآية / ١٦٢ ـ ١٦٣ / من سورة الأنعام .

(٥) الآية / ٢ / من سورة الجمعة .

ومن ضيق الدنيا إلى سَعَتها ، ومن جَوْر الأديان إلى عَدْل الإسلام ... الخ »[1] .

فهذه كلها أهداف عامة مفصلة لمناهج الدعوة ، وغيرها كثير تختلف أساليب العلماء والدعاة في التعبير عنها ...

ومما يحسن التنبيه إليه في موضوع أهداف الدعوة أمران ، هما :

١ ـ إن لتحديد الأهداف الدعوية ، ولاسيما عند واضعي المناهج فوائد عديدة ، منها :

أ ـ السلامة من الانحراف عن طريق الدعوة .

ب ـ الوضوح في أسلوب العمل .

جـ ـ الاستمرارية في الدعوة .

فإن عدم تحديد الأهداف ، قد يوقع الداعية في الانحراف عن طريقه ، أو يجعله يتخبط في أساليبه ، أو يقطعه عن الاستمرار في دعوته ... كما هو ملاحظ في واقع كثير من الناس .

ومن هنا جاء تعليق التأسي برسول الله ﷺ بتحقق صفتين هما :

١ ـ الوضوح في الهدف والغاية ﴿ لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ﴾ .

٢ ـ عدم الغفلة عنه ﴿ وذكَر اللهَ كثيراً ﴾ .

قال تعالى :

﴿ لقد كان لكم في رسول الله أُسْوةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كانَ يَرْجو اللهَ واليومَ الآخر ، وذكَرَ الله كثيراً ... ﴾[2] .

---

(١) « حياة الصحابة » للكاندهلوي (١/ ٢٢٠) .

(٢) الآية / ٢١ / من سورة الأحزاب .

وما قَصَّر مسلم في هذا التأسّي به ﷺ إلا لأحد هذين السببين والله أعلم .

٢ ـ ليس من الحكمة دائماً في الدعوة إلى الله أن يُصرِّحَ الدعاة بأهدافهم التفصيلية المحددة ، فقد يزيد هذا من تربّص أعدائهم بهم ، ومكرهم بأهل الدعوة ، فإن في التصريح بالأهداف العامة المجملة والاكتفاء بها مندوحة عنها .

كما قد تكون الحكمة في بعض الأحيان في التصريح بها ، والنص عليها ، فالداعية الحكيم هو الذي يختار لكل موقفٍ ماينا سبه .

وإن في القرآن الكريم ، والسنة النبوية ، والسيرة العملية للدعاة مايؤكد هذا الأمر ويوضحه .

* * *

المبحث الأول

« التعريف بالمناهج الثلاثة (العاطفي ، والعقلي ، والحسي) وبيان أساليبها ، ومواطن استخدامها ، وخصائصها » .

وقد خَصَصْتُ المناهج الثلاثة بمبحث خاص نظراً لأهميتها وكونها وصفاً عاماً لجميع المناهج الدعوية من جهة ، وبياناً لتلازمها وتداخلها من جهة أخرى .

١ ـ المنهج العاطفي :

تعريفه :

يمكننا تعريف المنهج العاطفي بتعريفين هما :

أ ـ « النظام الدعوي الذي يرتكز على القلب ، ويُحرك الشعور والوجدان » .

ب ـ « مجموعة الأساليب الدعوية التي ترتكز على القلب ، وتحرك الشعور والوجدان » .

وذلك لأن النظام الدعوي لايظهر إلا بمجموعة أساليبه ، التي تُعدُّ كيفيات لتطبيقه ، ـ كما جاء معنا في التمهيد ، والتعريف بمصطلحات البحث ـ .

أبرز أساليبه :

من أبرز أساليب المنهج العاطفي مايلي :

أ ـ أسلوب الموعظة الحسنة : وأشكاله كثيرة منها :

١ ـ الخطابة .

٢ ـ التذكير بنعمة الله على عبده المستوجبة شكره .

٣ ـ مَدْحُ الداعي للمدعو أو ذمه ، وذلك بذكر خصائصه ومزاياه ، أو بذكر معايبه وأخطائه .

٤ ـ الترغيب والترهيب ، وذكر الثواب والعقاب .

٥ ـ الوعد بالنصر والتمكين ...

٦ ـ قَصُّ القصص العاطفية المؤثرة .

وما إلى ذلك من أساليب تدخل في باب الموعظة الحسنة ،

وقد نص القرآن الكريم على أسلوب (الموعظة الحسنة) نصاً صريحاً ، وأمر باستخدامه ، قال تعالى :

﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ...﴾ (١) .

ب ـ إظهار الرأفة والرحمة بالمدعوين : ويكون بكلمة طيبة مؤثرة ، مثل المناداة بكلمة : « ياأبت ، ويابني ، و ياقوم .. » وقول الداعي للمدعو : « إني أحبك » وأخشى عليك ، وما إلى ذلك ... ،

أو بمشاركة وجدانية في موقف ، أو بمساعدة شخصية في أزمة ... وهكذا .

قال تعالى :

﴿ فبما رحمة من الله لِنْتَ لهم ، ولو كنت فَظّاً غليظَ القلب لانفَضّوا من حولك ... ﴾ (٢) .

---

(١) الآية / ١٢٥ / من سورة النحل .

(٢) الآية / ١٥٩ / من سورة آل عمران .

جـ ـ قضاءُ الحاجات ، وتقديم المساعدات ، وتأمين الخدمات : ويتنوع هذا الأسلوب بتنوع الحاجات المطلوبة ، والمساعدات المقدمة ، مادية كانت أو معنوية ، قليلة كانت أو كثيرة ...

فجميع هذه الأساليب وأمثالها تشكل مايُسمى « بالمنهج العاطفي » .

وسيأتي معنا في مبحث الأساليب الدعوية ، أمثلة تفصيلية لكل شكل من أشكال هذه الأساليب ـ إن شاء الله ـ

مواطن استعمالاته :

يستعمل المنهج العاطفي في حالات متعددة ، ومواطن متنوعة ، يحسن بالداعية أن يتعرف عليها ، ليتمكن من استخدام المنهج المناسب في الموطن المناسب ، ولعل من هذه المواطن والحالات :

١ ـ حالة دعوة الجاهل : لأن الجاهل بحاجة إلى الرفق والاهتمام به ، وتعليمه مايفيده عن طريق ترغيبه بالعلم ، ووعده بالخير الكبير من ورائه ...

٢ ـ حالة دعوة من تُجْهلُ حاله ، ولايُعرَف مستوى إيمانه قوة أو ضعفاً ، فيعمل الداعية على كشف حاله باستثارة عواطفه وكوامن نفسه ، ليحدد الداعي حاجته ، ويختار الأسلوب الذي يناسبه .

٣ ـ في دعوة أصحاب القلوب الضعيفة كالنساء والأطفال ، واليتامى والمساكين ، والمصابين والمرضى ... وما إلى ذلك ...

٤ ـ في دعوة الآباء للأبناء ، ودعوة الأبناء للآباء ، ودعوة الأقارب والأرحام والأصدقاء فيما بينهم ...

٥ ـ في مواطن ضعف الدعوة ، والشدة على المدعوين ، ليحرك الداعية

مشاعر المعادين ، ويستميل قلوبهم لدعوته ، فيستجيبوا له ، أو يخفف من شدتهم وبطشهم ...

إلى غير ذلك من مواطن لاتخفى على الداعية اللبيب .

من خصائص المنهج العاطفي :

للمنهج العاطفي مزايا وخصائص تخصه وتتناسب مع طبيعته وأهدافه ... من ذلك :

١ ـ لطف أسلوبه ، واختيار العبارات المؤثرة .

٢ ـ سرعة تأثر المدعوين به ، واستجابتهم لمن يحسن استخدامه .

٣ ـ تخفيف وطأة العدو أو المخالف ، ودفع أذاه .

٤ ـ سرعة التحول في آثاره تبعاً لتحول العواطف والمشاعر ...

٥ ـ سعة دائرة استعماله ، لأن الطابع العاطفي في الناس أغلب من غيره .

إلى غير ذلك من خصائص ومزايا تظهر من المقارنة له بغيره من المناهج .

* * *

٢ ـ المنهج العقلي :

تعريفه :

يمكننا تعريف المنهج العقلي بتعريفين أيضاً ، هما :

أ ـ (النظام الدعوي الذي يرتكز على العقل ، ويدعو إلى التفكر والتدبر والاعتبار) .

ب ـ (مجموعة الأساليب الدعوية التي ترتكز على العقل ، وتدعو إلى التفكر والتدبر والاعتبار) .

وذلك لأن النظام الدعوي لايظهر إلا بمجموعة أساليبه المطبقة له .

أبرز أساليبه :

من أبرز أساليب المنهج العقلي مايلي :

١ ـ المحاكمات العقلية ، والأقْيِسَةُ بجميع أشكالها : قياس الأَوْلى ، والقياس المساوي ، وقياس الخَلْف (العكس) والقياس الضمني ...

فمن أمثلة قياس الأولى : قوله تعالى :

﴿ ألا تُقاتِلون قوماً نَكَثوا أيمانهم ، وهَمُّوا بإخراج الرسول ، وهم بَدَؤوكم أول مرة ، أتَخْشَوْنَهم ، فالله أحقُّ أنْ تَخْشوه إن كنتم مؤمنين ﴾ (١) .

وقوله ﷺ في حديث الأمر بحفظ العورة ، لما قال له الصحابي الكريم :

« يانبي الله : إذا كان أحدنا خالياً ؟ قال : فالله أحق أن يستحي

---

(١) الآية / ١٣ / من سورة التوبة .

منه الناس »[1] .

ومن أمثلة القياس المساوي : قوله ﷺ للشاب الذي استأذن بالزنا : « أتحبه لأمك ؟ قال : لا والله جعلني الله فداءك ، **قال : ولا الناس يحبونه لأمهاتهم** . الخ »[2] .

ومن أمثلة قياس الخَلْف : قوله ﷺ :

« وفي بُضْعِ أحدكم صدقة ، قالوا : يارسول الله ، أيأتي أحدنا شهوته ، ويكون له فيها أجر ؟! **قال : أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر ؟ ، فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر** »[3] .

ومن أمثلة القياس الضمني : قوله ﷺ في الصائم :

« إذا نسي فأكل وشرب ، فليتم صومه ، فإنما أطعمه الله وسقاه »[4] فقاس ضمناً الصائم الذي أكل وشرب ناسياً ، على الصائم الذي لم يأكل ولم يشرب ... إلى غير ذلك من أمثلة[5] .

---

(١) الحديث رواه الترمذي وقال : حديث حَسَن ، انظر « سنن الترمذي »(٢٧٦٩ و ٢٧٩٤) .

(٢) الحديث رواه الإمام أحمد في « المسند » عن أبي أمامة رضي الله عنه(٥/٢٥٦ و ٢٥٧) ، وقال عنه الهيثمي في « مجمع الزوائد » : رواه أحمد والطبراني في الكبير ، ورجاله رجال الصحيح .(١/١٢٩) .

(٣) الحديث رواه مسلم وأحمد وأبو داود ، انظر « صحيح مسلم بشرح النووي »(٢/٦٩٧) و « مسند أحمد » (٥/١٦٧ و ١٦٨) و « سنن أبي داود » رقم (١٢٨٥ و ٥٢٤٢) .

(٤) الحديث متفق عليه : انظر « صحيح البخاري مع الفتح » رقم (١٩٣٣)(٤/١٥٥) ، و « صحيح مسلم بشرح النووي »(٨/٣٥) .

(٥) راجع بحث « تطبيقات الرسول ﷺ للمنهج العقلي في الدعوة » للباحث : محمد بن عبد الله ابن علي العثمان ، الذي قدمه بإشرافي لنيل درجة الماجستير لقسم الدعوة والاحتساب في المعهد العالي للدعوة الإسلامية بالمدينة المنورة ، عام ١٤٠٩ هـ ، من ص :(٢٦ ـ ٧٥) ففيه أمثلة كثيرة على استعمال هذا الأسلوب .

٢ ـ الجدل والمناظرة والحوار : وسيأتي الحديث عن الجدل وأشكاله في مبحث الأساليب الدعوية في الفصل الرابع [١] .

٣ ـ ضربُ الأمثال بأنواعها صريحةً كانت أو كامنَةً ، أو أمثالاً سائرة ...

ومن أمثلة الأمثال الصريحة قوله تعالى :

﴿ مَثَلُهم كَمَثَلِ الذي استَوْقد ناراً ... الآيات ﴾ [٢] .

وقوله ﷺ :

« مَثَلُ القائم على حدود الله ، والواقع فيها ، كَمَثَلِ قَوْم استَهَموا على سَفينة ... الحديث »[٣] .

إلى غير ذلك من أمثلة صُرِّحَ فيها بلفظ المثل ، أو بما يدل على التشبيه ... قال تعالى :

﴿ وتِلْكَ الأمْثالُ نَضْرِبُها للناس ، لَعلَّهم يَتفكرون ﴾ [٤] .

ومن الأمثال الكامنة ، قوله ﷺ :

« مَنْ فارقَ الجماعةَ شبراً فقد خَلَع رِبْقَةَ الإسلام من عُنُقه »[٥] يقول

---

(١) انظر تفصيلاً لهذا الأسلوب في البحث السابق « تطبيقات الرسول ﷺ للمنهج العقلي في الدعوة » من ص (٧٦ ـ ١١٣) .

(٢) الآيات / ١٧ ـ ٢٠ / من سورة البقرة .

(٣) الحديث رواه البخاري والترمذي ، انظر « صحيح البخاري مع الفتح » (٣/١١١) وسنن الترمذي (٢١٧٣) .

(٤) الآية / ٢١ / من سورة الحشر .

(٥) الحديث رواه أبو داود وأحمد والحاكم عن أبي ذر رضي الله عنه ، انظر « سنن أبي داود » (٤٧٥٨) و « مسند أحمد » (٤/١٣٠) و (٥/١٦٥ و ١٨٠ و ٣٤٤) وقال الحاكم : وقد روي هذا المتن عن عبد الله بن عمر بإسناد صحيح على شرطهما . (١/١١٧) .

الإمام الخطابي :

« الرِّبْقة : مايُجعلُ في عنق الدابة كالطوق يُمسكها لئلا تشرد ، يقول : من خرج عن طاعة الجماعة ، وفارقهم في الأمر المجمع عليه ، فقد ضل وهلك ، وكان كالدابة إذا خلعت الربقة التي هي محفوظة بها ، فإنها لايؤمن عليها عند ذلك من الهلاك والضياع »[1] . إلى غير ذلك من أمثال لم يُصرَّح فيها بلفظ التمثيل .

ومن الأمثال السائرة ، قوله ﷺ :

« مَنْ خافَ أدلج ، ومن أدلج بَلَغَ المنزل ، ألا إن سلعة الله غالية ، ألا إن سلعة الله الجنة »[2] وغيره مما صار مثلاً سائراً بين الناس[3] .

٤ ـ القصص التي يغلب عليها الجانب العقلي ، وتساق من أجل الاعتبار بها ، قال تعالى :

﴿ لقد كان في قَصَصِهم عبرةٌ لأُولي الألْباب ﴾[4] وقال :

﴿ فاقْصُصِ القصَصَ لعلهم يَتَفَكّرون ﴾[5] .

---

(١) « معالم السنن » انظر حاشية « مختصر سنن أبي داود » للمنذري (١٤٨/٧ و ١٤٩) .

(٢) الحديث رواه الترمذي والحاكم في مستدركه وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، انظر « سنن الترمذي » (٢٤٥٠) و « مستدرك الحاكم » (٣٠٨/٤) وصححه في « التلخيص على المستدرك » ، انظر الحاشية (٣٠٨/٤) .

(٣) انظر تفصيلاً لهذا الأسلوب في البحث السابق « تطبيقات الرسول ﷺ للمنهج العقلي في الدعوة » من ص (١١٤ ـ ١٧٢) .

(٤) الآية / ١١١ / من سورة يوسف عليه السلام .

(٥) الآية / ١٧٦ / من سورة الأعراف .

ومن هذا الأسلوب ما قصه القرآن الكريم علينا من قصص الأولين [1] .

وما قصه الرسول ﷺ على أصحابه من قصص الأمم السابقة ، وهو كثير في السنة [2] .

مواطن استعمالات المنهج العقلي :

يستعمل المنهج العقلي في مواطن متعددة ، منها :

١ ـ في مواطن إنكار المدعوين للأمور الظاهرة ، والبدهيات العقلية ، مثل قوله تعالى :

﴿ أَمْ خُلِقوا من غَيْرِ شَيء أَمْ هُمُ الخالِقون ﴾ [3] وقوله :

﴿ لَوْ كان فيهما آلهةٌ إلا اللهُ لفَسَدَتا ... ﴾ [4] .

٢ ـ مع المعتدّين بعقولهم وأفكارهم من المدعوّين ، لأنهم أسرع من يتأثر بالمنهج العقلي السليم .

٣ ـ مع المنصفين من الناس ، البعيدين عن التعصب لآرائهم ، والمتجردين من الأغراض الخاصة .

٤ ـ مع المتأثرين بالشبهات ، والمخدوعين بالباطل ،

وهكذا ، إلى غير ذلك من مواطن وأحوال لاتخفى على الداعية اللبيب .

---

(١) راجع «القصص القرآني في مفهومه ومنطوقه» للدكتور عبد الكريم الخطيب، و «دراسات قرآنية» للأستاذ محمد قطب، و «الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية» للأستاذ محمود السيد حسن مصطفى.

(٢) راجع « القصص في الحديث النبوي » للدكتور : محمد بن حسن الزير .

(٣) الآية / ٣٥ / من سورة الطور .

(٤) الآية / ٢٢ / من سورة الأنبياء .

من خصائص المنهج العقلي :

للمنهج العقلي خصائص ومزايا تختلف عن خصائص غيره من المناهج الأخرى ، منها :

١ ـ اعتماده على الاستنتاجات العقلية ، والقواعد المنطقية ، والفطرية ...

٢ ـ عمق تأثيره في المدعوين ، ورسوخ الفكرة التي يوصل إليها عن طريقه ، إذ ليس من السهل تغيير القناعة والأفكار .

٣ ـ إفحام الخصم المعاند .

٤ ـ ضيقُ دائرته بالنسبة لدائرة المنهج العاطفي ، وإن كان هذا الضيق أو السعة تختلف من قوم إلى قوم .

لذا كان على الداعية الحكيم أن يحسن اختيار المنهج المناسب للموقف المناسب .

* * *

٣ ـ المنهج الحسي أو (التجريبي) :

تعريفه :

يمكننا تعريف المنهج الحسي بتعريفين أيضاً ، هما :

أ ـ (النظام الدعوي الذي يرتكز على الحواس ، ويعتمد على المشاهدات والتجارب) .

ب ـ (مجموعة الأساليب الدعوية التي ترتكز على الحواس ، وتعتمد على المشاهدات والتجارب) .

وذلك لأن النظام الدعوي لايظهر إلا بمجموعة أساليبه المطبقة له .

ويطلق على هذا المنهج بعضهم مصطلح « المنهج العلمي » لاعتماده على العلوم التجريبية ، إلا أن تسميته بالحسي أو التجريبي أوضح وأدق .

أبرز أساليبه :

للمنهج الحسي أساليب عديدة ، منها :

١ ـ لَفْتُ الحِسّ إلى التعرف على المحسوسات ، للوصول عن طريقها إلى القناعات : كما في قوله تعالى :

﴿ وفي الأرض آياتٌ للموقِنِين * وفي أنْفُسِكم أفلا تُبْصِرون * وفي السماء رزقُكُم وما توعدون * فَوَربِّ السماء والأرض إنَّهُ لحقٌ مِثْلَ ماأنَّكم تَنْطقون ﴾ (١) .

وقوله :

﴿ سَنُريهم آياتِنا في الآفاق وفي أنْفُسِهم ، حتّى يَتَبَيَّن لهم

(١) الآيات / ٢٠ ـ ٢٣ / من سورة الذاريات .

أنَّه الحقُّ ، أوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أنَّه على كل شيء شَهيد ﴾ [1] .

٢ ـ أسلوب التعليم التطبيقي ، على وجه يشاهد المدعو كيفية تطبيق الفعل المأمور به ، والمدعو إليه ، كما فعل ﷺ في دعوته لتعلم الصلاة ، والحج ، فقد جاء في الحديث الشريف :

« صلوا كما رأيتموني أصلي »[2] ، وجاء أيضاً :

« خذوا عني مناسككم »[3] .

٣ ـ القدوة العملية في تعليم الأخلاق والسلوك : كما جَعَلَ اللهُ رسولَه ﷺ قدوةً عملية للمؤمنين فقال :

﴿ لقد كان لكم في رسول الله أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ، لِمَنْ كان يَرجو الله واليوم الآخِرَ وذَكَرَ الله كثيراً ﴾ [4] ، وكما وَجَّهَ رسوله ﷺ إلى ذلك ، فقال :

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ من الله لِنْتَ لَهم ، ولو كُنْتَ فَظاً غليظَ القلب لانفَضُّوا مِنْ حَولك ، فاعْفُ عنهم ، واستَغْفِر لهم ، وشاوِرْهم في الأمر ، فإذا عَزَمتَ فتوكَّل على الله ... ﴾ [5] .

ومن هنا جاء وصف خُلُقِ رسول الله ﷺ بأنه القرآن ، ففي الحديث

---

(١) الآية / ٥٣ / من سورة فصلت .

(٢) الحديث رواه البخاري ، انظر « صحيح البخاري مع الفتح » رقم (٦٣١ و ٦٠٠٨) و « الفتح » (١١١/٢) و (٤٣٨/١٠) .

(٣) الحديث ذكره في « جمع الفوائد » رقم (٣٣٧١)(٥٠٢/١) وقال عنه : للشيخين والنسائي .

(٤) الآية / ٢١ / من سورة الأحزاب .

(٥) الآية / ١٥٩ / من سورة آل عمران .

الشريف عن عائشة رضي الله عنها :

« ... فإن خلق نبي الله ﷺ كان القرآنَ ... »[1] .

٤ ـ تغيير المنكر باليد ، وإزالته على وجه يشاهده صاحب المنكر ، ويُعدُّ هذا الإنكار أقوى درجات الإنكار ، كما جاء في الحديث الشريف :

« من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ... »[2] وكما فعل ﷺ لما فتح مكة ، بالأصنام التي كانت حول الكعبة ، حيث طعنها بِعُودٍ في يده فتساقطت على وجهها [3]، وبعث سراياه إلى الأوثان « اللات ، والعُزّى ، ومناة » فكُسِّرت [4] .

٥ ـ تأييدُ الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام بالمعجزات الحسية والخوارق ، كما حدث مع كثير من الأنبياء السابقين ، ومع رسولنا ﷺ .

٦ ـ أسلوب « التمثيل المَسرحي » وعرض بعض الأمور الدعوية على خشبة المسرح ، كما أصبح مألوفاً في هذا العصر ، وسيأتي معنا الحديث عن « التمثيل » في فصل : الوسائل الدعوية إن شاء الله .

وما إلى ذلك من أساليب تعتمد على الحس البشري ...

---

(١) جزء من حديث رواه مسلم برقم (١٣٩) وانظر « شرح النووي على مسلم » (٢٦/٦) . وعزاه في « الفتح » لمسلم بلفظ « كان خلقه القرآن ، يغضب لغضبه ، ويرضى لرضاه » . « فتح الباري » (٥٧٥/٦) .

(٢) الحديث رواه مسلم ، انظر « صحيح مسلم » (٤٩) .

(٣) انظر « صحيح البخاري مع الفتح » (٢٤٨٧)(١٦/٨ و ١٧) و « زاد المعاد » (٤٠٦/٣) .

(٤) « زاد المعاد » (٤١٣/٣) .

مواطن استعمالاته :

مواطن استخدام المنهج الحسّي عديدة متنوعة ، منها :

١ ـ في تعليم الأمور التطبيقية العملية والدعوة إليها ، وكلما كان الأمر المدعو إليه دقيقاً وهاماً ، كانت الحاجة إليه أشد ، كما فعل ﷺ في تعليم الوضوء ، والصلاة ، والحج ...

٢ ـ يُستخدم في دعوة العلماء والمتخصصين في العلوم التطبيقية التجريبية ، ويعين في ذلك الاستدلال بالإعجاز العلمي في القرآن والسنة ، مع ملاحظة ضرورة عدم التوسع في استخدام النصوص الشرعية لتأييد النظريات العلمية والفرضيات ، ويكتفى بالاستشهاد بها على الحقائق العلمية الثابتة ، وبأسلوب مناسب [١] .

٣ ـ يستخدم في دعوة المتجاهلين للسنن الكونية ، والمنكرين للبدهيات العقلية ، فإن المعاندين لاتفيد معهم إلا الحقائق المعتمدة على الملموسات والمحسوسات ، وعلى هذا الأساس جاءت كثير من معجزات الأنبياء والرسل عليهم السلام ماديةً محسوسةً .

إلى غير ذلك من مواطن لاتخفى على الداعية ...

---

(١) راجع بحث « المنهج العلمي وأثره في الدعوة إلى الله » للباحث : فكري السيد عوض ، المقدم لنيل درجة الماجستير في قسم الدعوة في المعهد العالي للدعوة الإسلامية بالمدينة المنورة ، عام ١٤٠٤ هـ .

وراجع بحث « آيات التخويف الكونية وأثرها في الدعوة إلى الله » للباحث : جمعان عبد الله سرور الغامدي ، الذي قدمه بإشرافي لنيل درجة الماجستير في قسم الدعوة بالمعهد العالي للدعوة الإسلامية ، عام ١٤٠٦ هـ .

من خصائص المنهج الحسي :

من أبرز خصائص هذا المنهج الدعوي :

١ ـ سرعة تأثيره لاعتماده على المحسوسات التي يُسلِّم بها كل إنسان عادة ، فإذا لم يسلم دلّ ذلك على عناده وإصراره على باطله ، ومن هنا توعد الله عز وجل عباده الذين أصروا على كفرهم بعد رؤية المعجزات النبوية ، فقال سبحانه :

﴿ قال عيسى ابن مريم : اللهم ربنا أنْزِلْ علينا مائدةً من السماء ، تكونُ لنا عيداً لأولنا وآخرنا ،وآيةً منك ، وارزقنا وأنتَ خيرُ الرازقين * قال الله : إني مُنَزِّلُها عليكم ، فمَنْ يَكْفُر بَعْدُ مِنْكم فإني أُعَذِّبُه عذاباً لاأعذِّبه أحَداً من العالمين ﴾ (١) .

كما كانت نتيجة معظم الأمم التي كذبت بمعجزات أنبيائها الهلاك والدمار .

٢ ـ عمق تأثيره في النفوس البشرية ، لمعايَنَتها الشيء المحسوس ، ومن هنا قيل : ليس الخَبرُ كالعِيان .

٣ ـ سعة دائرته ، لاشتراك الناس جميعاً في أنواع الحس أو بعضها ، لايتخلف عن هذا كبير أو صغير ، ولا عالم أو جاهل ...

٤ ـ يُحتاجُ في استخدامه في كثير من المواطن إلى خبرة واختصاص ، فلا يحسنه جميع الدعاة ، ولاسيما إذا كانت الدعوة لطبقة العلماء المتخصصين في العلوم التطبيقية .

---

(١) الآيات / ١١٤ ـ ١١٥ / من سورة المائدة .

هذه هي أنواع المناهج الدعوية من حيث ارتكازها على النفس البشرية ، وقد أضاف بعضهم عليها نوعاً رابعاً أسماه : المنهج الفطري ، وقصد به المنهج المُبَسَّط غير المعقّد .

والذي أراه في هذا : أن الفطرية (بمعنى التبسيط وعدم التعقيد) خصيصة من خصائص المناهج الدعوية كلها ، وليست منهجاً رابعاً من مناهج الدعوة ، وذلك لاعتماد المناهج الثلاثة السابقة على الفطرة الإنسانية ، لأن ركائزها هي (القلب ، والعقل ، والحس) من جهة ، ولأن كل منهج من هذه المناهج الثلاثة يمكن أن يكون مبسطاً أو معقداً ، وذلك بحسب الموضوع وتبعاً لأسلوب الداعية ، من جهة أخرى ، والله أعلم .

* * *

المبحث الثالث

الملامح العامة للمناهج الدعوية ، وخصائصها العامة :

يمكننا تقسيم الملامح العامة للمناهج الدعوية إلى ثلاثة أقسام أساسية هي :

١ ـ الملامح العامة لمناهج الدعوة في جانب العقيدة .

٢ ـ الملامح العامة لمناهج الدعوة في جانب الشريعة .

٣ ـ الملامح العامة لمناهج الدعوة في جانب الأخلاق .

وذلك لتكوّنِ الدعوة الإسلامية من هذه الجوانب الثلاثة .

١ ـ الجانب الأول :

الملامح العامة لمناهج الدعوة في جانب العقيدة :

يمكن إجمال هذا الجانب في ثلاثة أمور :

أ ـ تقرير العقيدة الصحيحة بمنهاج واضح بعيد عن المنهج الفَلْسفي ، والأساليب الكلامية :

فقد بادرت العقيدة الإسلامية بتوضيح حقائق الأمور الغامضة في هذا الكون ، ولم تتركها للعقل البشري يستنتجها ويخوض فيها تلقائياً صيانة له عن الضلال ، وإكراماً له بالهداية ،

وهذه الأمور الغامضة الكبرى لاتعدو تسعة أمور أساسية هي :

(١ ـ ٦) ـ أركان الإيمان الستة التي صرح بها حديث جبريل عليه

السلام ، وهي :

الإيمان بالله ، والملائكة ، والكتب السماوية ، والرسل ، واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره من الله تعالى .

٧ ـ الوقوف على حقيقة الإنسان ، وأصل خلقته ، وطبيعته ، ووظيفته ، لأنه المخاطب بهذه العقيدة .

٨ ـ الوقوف على حقيقة العالم الظاهر المحيط به في هذا الكون ، من سماوات وأرض وشمس وقمر وما إلى ذلك .

٩ ـ الوقوف على حقيقة العالم الخفي المحيط به ، كعالم الجن والشياطين ...

فقد أوضحت العقيدة الإسلامية بالقرآن والسنة هذه الأمور أحسن توضيح ، وبأسلوب واضح قريب من البشر جميعاً على مختلف مستوياتهم ، قائم على مخاطبة القلب والعقل والحس ، بعيد عن الفلسفات المادية ، والتعقيدات الكلامية .

قال تعالى :

﴿ وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ... ﴾ (١)

وقال :

﴿ اللهُ لا إله إلا هو الحيُّ القيّوم ، لا تَأْخُذُه سِنَةٌ ولا نَوْم ، له مافي السموات ومافي الأرض ، مَنْ ذا الذي يَشفعُ عنده إلا بإذنه ، يَعلَمُ مابَيْن أيديهم ومـاخَلْفَهم ، ولايُحيطونَ بشيء من

(١) الآية / ١٦٣ / من سورة البقرة .

علمه إلا بما شاء ، وَسِعَ كُرسيُّه السمواتِ والأرضَ ، ولايؤودُه حِفْظُهما وهو العلي العظيم ﴾ (١) .

وقال أيضاً :

﴿ آمَنَ الرسولُ بما أُنْزِلَ إليه من ربه والمؤمنون ، كُلٌّ آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، لانُفَرِّقُ بين أحَدٍ من رُسُلِه ... ﴾ (٢) .

وهكذا في جميع الآيات القرآنية والنصوص الشرعية المقررة لتلك الحقائق .

ب ـ تثبيتُ العقيدة في النفوس ، وتحصينُها بأسلوب يرتكز على العقل والقلب معاً :

فبعد أن قرر المنهج الدعوي العقيدة الصحيحة ، عمل على تثبيتها في النفوس البشرية عن طريقين أساسيين :

١ ـ بيان الأدلة العقلية والنقلية التي تدل عليها :

قال تعالى :

﴿ لو كانَ فيهما آلهةٌ إلا اللهُ لفَسَدتا ﴾ (٣)، وقال : ﴿ ماااتَّخَذَ الله من وَلَدٍ ، وما كان مَعه من إله ، إذاً لذهبَ كلُّ إلهٍ بما خلق ، ولعلا بعضُهم على بَعْض ، سُبْحان الله عما يصفون * عالمِ الغيبِ والشهادة ، فتعالى عما يشركون ﴾ (٤) .

---

(١) الآية / ٢٥٥ / من سورة البقرة .

(٢) الآية / ٢٨٥ / من سورة البقرة .

(٣) الآية / ٢٢ / من سورة الأنبياء .

(٤) الآيات / ٩١ ـ ٩٢ / من سورة المؤمنون .

٢ ـ مناقشةُ الشبهات المثارة حولها ورَدُّها : قال تعالى :

﴿ وَضَرَبَ لنا مَثَلاً ونَسِيَ خَلْقَه ، قال : مَنْ يُحيي العظامَ وهي رَميم ؟ ! * قُل يُحْييها الذي أنشأها أول مرة ، وهو بكُل خَلْقٍ عليم * الذي جَعَل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون * أَوَلَيْسَ الذي خلقَ السمواتِ والأرضَ بقادرٍ على أنْ يَخْلُقَ مِثْلَهم ! بلى وهو الخلاّقُ العليم * إنّما أمرُه إذا أراد شيئاً أن يقولَ له كن فيكون * فَسُبْحنَ الذي بيده ملكوتُ كل شيء وإليه ترجعون ﴾ (١) ، وفي سورة « يس » وغيرها نماذج أخرى لهذه المناقشات والردود ... وقال تعالى :

﴿ أَوْ كالذي مَرَّ على قَرْيَة وهي خاوية على عروشها ، قال : أنّى يُحْيي هذه اللهُ بعدَ مَوْتها ، فأماتَه اللهُ مئةَ عامٍ ثُمَّ بَعَثه ... الآيات ﴾ (٢) .

٣ ـ إبطال العقائد الفاسدة السائدة في حياة الناس :

سواء في جانب الله عز وجل وصفاته ، أو في جانب ملائكته ورسله ، أو في جانب كتبه وآياته ، أو في جانب الإنسان وخلقته ، أو في جانب الجن والشياطين ، من ذلك قوله تعالى :

﴿ وجَعَلوا له من عباده جُزءاً ، إنَّ الإنسانَ لكفورٌ مبين * أم اتّخذَ مما يَخْلُقُ بناتٍ وأَصْفاكم بالبنين * وإذا بُشِّر أحدهم بما

(١) الآيات / ٧٨ ـ ٨٣ / من سورة يس .

(٢) الآية / ٢٥٩ / من سورة البقرة

ضَرَب للرحمن مَثلاً ظَلَّ وجُهه مُسْوداً وهو كظيم * أوَ مَنْ يُنَشَّؤ في الحلية وهو في الخِصَام غير مبين * وجعلوا الملائكةَ الذين هُمْ عبادُ الرحمن إناثاً أشَهِدوا خَلْقهم ، ستُكْتَبُ شهادَتُهم ويُسألون ... الآيات ﴾ (١) .

وإن هذه الملامح الثلاثة وغيرها في الجانب العقدي تؤكد لنا عدة أمور :

أ ـ ضرورة التقيد بالمنهج الرباني في تقرير العقائد وتثبيتها ، والابتعاد عن المناهج الكلامية التي تعقد الأمور وتثير الشبهات والمشكلات في جانب العقيدة أكثر مما تزيلها ، والعمل على تجريد كتب العقيدة الإسلامية من مثل تلك الأساليب والرجوع بها إلى أسلوب السلف الصالح في عرض العقائد وتوضيحها .

ب ـ الاستفادة من الملامح الثلاثة العامة في تدريس العقيدة ، فلا يكتفى بواحد منها ، فلابد من تقرير العقيدة الصحيحة أولاً ، ثم تثبيتها وتحصينها ، ثم العمل على إبطال العقائد الفاسدة من حولها ...

جـ ـ تنويع الكتابة في أمور العقيدة على وجه يفي بجميع المتطلبات ، ويسد مختلف الحاجات التربوية ، فلابد من الكتب الصغيرة الموجزة بجوار الكتب الكبيرة المتخصصة ، والمتوسطة ... كما

---

(١) الآيات / ١٥ ـ ١٩ / من سورة الزخرف ، وانظر الآيات / ١٠٠ / الأنعام و / ٣٣ / الرعد و / ١٥٨ / الصافات .

لابد من الكتابة بأساليب تناسب جميع المستويات ، وتجمع بين العاطفية والعقلانية ، والنظرية والعملية ...[1]

* * *

(١) انظر على سبيل المثال بعض الكتب الحديثة في العقيدة ، مثل « رسالة العقائد » للإمام حسن البنا ـ رحمه الله ـ و « مجموعة العقائد » بأجزائها السبعة للوالد الشيخ أحمد عزالدين البيانوني ـ رحمه الله ـ ، و « الإيمان » للشيخ عبد المجيد الزنداني ، وغيرها .

٢ ـ الجانب الثاني :

الملامح العامة لمناهج الدعوة في جانب الشريعة :

يمكن إجمال هذا الجانب في ثلاثة أمور أساسية ، هي :

أ ـ تقرير منهج توقيفي للعبادة وأساليبها .

ب ـ إقرار مالا يتعارض مع مقاصد الشريعة ، أو يحدث مفسدة في جانب المعاملات .

جـ ـ وضع أصول وقواعد عامة لمعظم الأحكام الشرعية ، وفسح المجال للاجتهاد في التطبيقات العملية ، والأحكام الفرعية ...

الأمر الأول :

وهو : **تقرير منهج توقيفي للعبادة وأساليبها :**

فلما كانت العبادة تعاملاً مع الله عز وجل ، اقتضت أن تكون العبادة توقيفية لادخل للاجتهاد في تشريعها وسنها ، فإن المرء قد يُحسن وضع منهج يضبط علاقته بغيره من الناس ، لأن وضع المنهج يستلزم معرفة وخبرة بالجانبين ، ولكنه لايتصور أن يحسن العبد وضع منهج للعلاقة مع الله جل جلاله .

ومن هنا : لما حاول بعض الصحابة رضوان الله عليهم بعقولهم اختيار منهج عبادي لأنفسهم ، عندما تقالّوا عبادة رسول الله ﷺ ، وعللوا ذلك بمغفرة ذنوبه ﷺ ، فقال أحدهم : « أما أنا فأصلي الليل أبداً ، وقال الآخر : وأنا أصوم الدهر ولا أفطر ، وقال الآخر : وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً »[1]. أنكر عليهم مقالتهم ومنهجهم ، وبين لهم

---

(١) هذه النصوص جزء من حديث متفق عليه ، سبق تخريجه في ص / ١٨٩/ .

المنهج الصحيح وقال : « فمن رغب عن سنتي فليس مني »[1] .

ولما رغب عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه بكثرة العبادة ، وإلزام نفسه بمنهج متشدد فيها ، وقال :

« والله لأصومن النهار ، ولأقومن الليل ماعشت »[2] قال له ﷺ : « فلا تفعل : صُمْ وأفطر ، ونَمْ وقم ، فإن لجسدك عليك حقاً ، وإن لعينك عليك حقاً ، وإن لزوجك عليك حقاً ، وإن لزَوْرك عليك حقاً ... الحديث »[3] .

وقد ذكر القرآن الكريم إنكار الله عز وجل على من شرع عبادة لنفسه ، فقال سبحانه :

﴿ أم لهم شُركاءُ شَرعوا لهم من الدين مالم يَأْذَن به الله ، ولولا كلمةُ الفَصْل لقُضِيَ بينهم ، وإنَّ الظالمين لهم عذاب أليم ﴾[4] .

وقال أيضاً :

﴿ ماجَعَل الله من بَحِيرةٍ ، ولا سائبة ، ولا وَصيلة ، ولا حَام ، ولكن الذين كفروا يَفْترون على الله الكذب ، وأكثرُهم لايعقلون ﴾[5] .

والتوقيف في جانب العبادة ، يشمل المنهج والأسلوب والوسيلة .

---

(١) هذه النصوص جزء من حديث متفق عليه ، سبق تخريجه في ص / ١٨٩/ .

(٢ ـ ٣) جزء من حديث شريف متفق عليه ، انظر « صحيح البخاري مع الفتح » رقم (١٩٧٥ و ١٩٧٦) و « الفتح » (٤ / ٢١٧ و ٢٢٠) و « صحيح مسلم » رقم (١١٥٩) .

(٤) الآية / ٢١ / من سورة الشورى .

(٥) الآية / ١٠٣ / من سورة المائدة .

الأمر الثاني :

وهو : إقرار مالا يتعارض مع مقاصد الشريعة ، أو يحدث مفسدة في جانب من المعاملات :

وقد بين العلماء مقاصد الشريعة الإسلامية في مواطن كثيرة ، وقد أجملها الإمام الشاطبي في الموافقات في تحقيق الضروريات والحاجيات والتحسينيات ، فقال :

« تكاليف الشريعة ترجع إلى حفظ مقاصدها في الخلق ، وهذه المقاصد لاتعدو ثلاثة أقسام ، أحدها : أن تكون ضرورية ، والثاني : أن تكون حاجية ، والثالث أن تكون تحسينية .

فأما الضرورية : فمعناها : أنها لابد منها في قيام مصالح الدين والدنيا ، بحيث إذا فقدت لم تجر مصالح الدنيا على استقامة ، بل على فساد وتهارج وفوت حياة ، وفي الأخرى فوتُ النجاة والنعيم ، والرجوع بالخسران المبين .

والحفظ لها يكون بأمرين : أحدهما : مايُقيم أركانها ويثبت قواعدها ، والثاني : ما يدرأ عنها الاختلال الواقع أو المتوقع فيها ...

ومجموع الضروريات خمسة : وهي : حفظ الدين ، والنفس ، والنسل ، والمال ، والعقل .

وأما الحاجيات : فمعناها : أنها مُفْتَقَرٌ إليها من حيث التوسعة ، ورفع الضيق المؤدي في الغالب إلى الحرج والمشقة اللاحقة بفوت المطلوب ...

وأما التحسينيات : فمعناها : الأخذ بما يليق من محاسن العادات ، وتجنب الأحوال المدنسات التي تَأنفها العقول الراجحات ...

وهذه الأمور الثلاثة جارية في العبادات ، والعادات ، والمعاملات ، والجنايات »[1] .

فأي تعامل لايتعارض مع هذه المقاصد ، ولايحدث مفسدة في باب التعامل أقره الإسلام ، وسمح به ، وأي تعامل يتعارض مع شيء من هذه المقاصد ، أو يسبب نزاعاً أو مفسدة بين المتعاملين ، حرمه الشارع ونهى عنه ،

وإن نظرة متفحصة في باب المعاملات في كتب الفقه ، ووقفة على البيوع الصحيحة والفاسدة تؤكد هذا الملمح ، فكما قرر الإسلام حل البيع ، والتجارة وأنواعاً من الشركات ، حَرَّم الربا ، ونهى عن بيوع الغرر ، وعن صور من التعامل المؤدية إلى النزاع بسبب جهالة أو غيرها ... كما قيد بعض التعاملات بشروط تدفع ذلك الغرر الواقع ، أو النزاع المتوقع ، كما فعل في السلم ، فقال ﷺ :

« من أَسْلَفَ في ثَمَر ، فليُسْلِفْ في كَيْل معلوم ووَزْن معلوم إلى أَجَل معلوم »[2] .

الأمر الثالث :

وهو : وضع أصول وقواعد عامة لمعظم الأحكام الشرعية ، وفسحُ المجال للاجتهاد في التطبيقات والأحكام الفرعية :

جعل الشارع أدلة الأحكام الشرعية نوعين :

---

(١) انظر « الموافقات » للشاطبي (٢/ ٨ ـ ١١) بشرح الشيخ عبد الله دراز .

(٢) الحديث متفق عليه ، انظر « صحيح البخاري مع الفتح » رقم (٢٢٤٠ و ٢٢٤١) (٤/ ٤٢٩) و « صحيح مسلم بشرح النووي » (١١/ ٤١ و ٤٢) .

أ ـ أدلة تفصيلية جزئية بحسب الحوادث والمسائل .

ب ـ أدلة إجمالية عامة ، وقواعد كلية ، تندرج تحتها جزئيات كثيرة موجودة أو مستجدة في حياة الناس .

وذلك لأن المسائل والقضايا كثيرة متنوعة متطورة لا حَدَّ لها ، ولايمكن للنصوص الشرعية مهما كثرت أن تستوعبها مسألةً مسألة .

ومن أمثلة النوع الأول :

ماجاء في بيان حكم الوضوء والطهارة وبعض أعمال الصلاة ، وكثير من أحكام السنة .

ومن أمثلة النوع الثاني :

ماجاء كنصوص عامة ، أو قواعد في القرآن أو السنة ، كقوله تعالى في بيان حل البيع إجمالاً ، وحرمة الربا إجمالاً : ﴿ وأَحَلَّ الله البيعَ وحَرَّم الربا ﴾ (١) .

وقوله سبحانه :

﴿ قل إنما حَرَّمَ ربي الفواحشَ ماظَهَر منها وما بَطَن ، والإثمَ والبَغْي بغير الحق ... ﴾ (٢) .

وقوله :

﴿ ويُحِلُّ لهم الطيباتِ ويُحَرِّمُ عليهم الخبائث ﴾ (٣) .

---

(١) الآية / ٢٧٥ / من سورة البقرة .

(٢) الآية / ٣٣ / من سورة الأعراف .

(٣) الآية / ١٥٧ / من سورة الأعراف .

وقوله ﷺ :

« المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمهاجر من هجر مانهى الله عنه »[1] .

وقوله أيضاً :

« لا ضرر ولا ضرار »[2] . وقوله « إنما الأعمال بالنيات »[3] إلى غير ذلك من أمثلة .

وبهذا المنهج في بيان أدلة الأحكام الشرعية ، حقق الشارع الأصالة والمعاصرة للدعوة الإسلامية ، فما من قضية حدثت أو تحدث في حياة البشرية ، إلا ويجد العلماء والمجتهدون لهاحكماً شرعياً ودليلاً عليها في نص شرعي أو في قاعدة كلية ...

* * *

(١) الحديث متفق عليه ، انظر « صحيح البخاري مع الفتح » (١٠)(٥٣/١) و « صحيح مسلم » رقم (٤٠) .

(٢) الحديث قال عنه الحافظ ابن حجر في « بلوغ المرام » : رواه أحمد وابن ماجه ، وله من حديث سعيد مثله ، وهو في الموطأ مرسل ، انظر « سبل السلام شرح بلوغ المرام » للصنعاني (١١٨/٣) طبع جامعة الإمام .

(٣) الحديث متفق عليه : انظر « صحيح البخاري مع الفتح » (١)(٩/١) و « صحيح مسلم » رقم (١٩٠٧) .

٣ ـ الجانب الثالث :

الملامح العامة لمناهج الدعوة في جانب الأخلاق :

يمكننا إجمال الملامح العامة في جانب الأخلاق فيما يلي :

١ ـ بيانُ الأخلاق الكريمة والنصُّ على أمهاتها : كالصدق ، والعدل ، والأمانة ...

٢ ـ بيان الأخلاق الذميمة ، والنصُّ على أمهاتها : كالكذب ، والجور ، والخيانة ...

٣ ـ وضع ضوابط ومعايير ثابتة تعرف بها الأخلاق الحميدة ، والتصرفات السليمة من غيرها ، وذلك مثل :

أ ـ قوله ﷺ :

« البِرُّ حسن الخلق ، والإثم ما حَاكَ في نفسك ، وكرهت أن يَطّلع عليه الناس »[1] .

ب ـ وقوله ﷺ :

« لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه »[2] .

جـ ـ جَعلُ الله عز وجل رسولهَ ﷺ أسوة للمؤمنين ، ووَصْفُه له بأنه على خلق عظيم ، فقال عز وجل :

﴿ وإِنَّك لعَلىٰ خُلُقٍ عَظيم ﴾[3] وقال :

---

(١) الحديث رواه مسلم ، انظر « صحيح مسلم » رقم (٢٥٥٣) .

(٢) الحديث متفق عليه ، انظر « صحيح البخاري مع الفتح » (١٣)(١/٥٧) ، و « صحيح مسلم (٤٥) .

(٣) الآية / ٤ / من سورة القلم .

﴿ لقد كانَ لكم في رسول الله أُسْوةٌ حَسَنَة ... ﴾ [1] . وما إلى ذلك .

٤ ـ الدعوة إلى تحسين الأخلاق ومجاهدة الطباع ، وعدم اعتباره للطبع عذراً في ذلك ، ففي الحديث الشريف :

« وخالقِ الناس بخلق حَسَن »[2] . وفيه أيضاً : « أحسِنْ خُلقَكَ للناس يامعاذ بن جَبل »[3] . وعلى هذا تحمل الأحاديث النبوية الكثيرة الآمرة بالأخلاق الحسنة ، والمشجعة عليها ، والمبينة فضل أصحابها ، والمفصّلة لأساليب علاج بعضها كالغضب مثلاً :

قال تعالى :

﴿ ولا تَسْتَوي الحسنةُ ولا السيئةُ ، ادفَعْ بالتي هي أَحْسن ، فإذا الذي بينَكَ وبينَهُ عداوةٌ كأنه وليٌّ حَميم * وما يُلقّاها إلا الذين صَبَروا ، وما يُلقّاها إلا ذو حَظٍ عظيم * وإمّا يَنْزَغَنَّكَ من الشيطان نَزْغٌ فاستَعِذْ بالله ، إنّه هو السميع العليم ﴾ [4] .

وفي الحديث : « إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه مايجد ، لو قال : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم »[5] .

---

(١) الآية / ٢١ / من سورة الأحزاب .

(٢) الحديث سبق تخريجه ص (١١١) .

(٣) الحديث سبق تخريجه ص (١٦٢) .

(٤) الآيات / ٣٤ ـ ٣٦ / من سورة فصلت .

(٥) الحديث متفق عليه ، انظر « صحيح البخاري مع الفتح » (٦١١٥)(٥١٨/١٠) و « صحيح مسلم بشرح النووي » (١٦٣/١٦) .

وجاء في أحاديث أخرى أمْرُ الغاضب بالجلوس ، وإلا فبالاضجاع [1]، وأمره بالوضوء [2] ، وما إلى ذلك .

وبهذه الملامح العامة في جانب الأخلاق ، يظهر تميز منهج الدعوة الإسلامية في الأخلاق على غيره من المناهج الأخرى ، ولاسيما الذين يقولون « بالنظرية النسبية في الأخلاق » فلا ثوابت عندهم في الأخلاق ولاضوابط صحيحة لها ... [3]

* * *

(١) الحديث رواه الإمام أحمد وأبو داود ، انظر « المسند » (١٥٢/٥) و « سنن أبي داود » رقم (٧٤٨٢) ، قال عنه الهيثمي : رجال أحمد رجال الصحيح (٧٠/٨ و ٧١) .

(٢) الحديث رواه أبو ادود ، انظر « سنن أبي داود » (٤٧٨٤)(٢٤٩/٤) ط : محيي الدين عبد الحميد .

(٣) راجع هذا الموضوع في كتاب « الأخلاق الإسلامية » للأستاذ : عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني (٩١/١ ـ ٩٨) . وقف في هذا الكتاب على فوائد كثيرة ، وأسلوب جديد مفيد في عرض الأخلاق الإسلامية .

الخصائص العامة للمناهج الدعوية :

بعد أن وقفنا على الملامح العامة لمناهج الدعوة في جوانب متعددة ، آن لنا أن نقف على بعض الخصائص العامة لهذه المناهج ، المنبثقة عن خصائص الدعوة الإسلامية نفسها ، فإذا كانت الدعوة تقوم على الأصول والمناهج والأساليب والوسائل ، فإن خصائص الدعوة الإسلامية تظهر في خصائص كلٍ من هذه الأصول والمناهج والأساليب والوسائل الدعوية ...

لذا ، لاأريد أن أقف على خصائص الأدلة والمصادر التي تحدثنا عنها في أصول الدعوة ، كالربانية ، والكمال ، والوضوح ، والشمول ، والتوازن ، والعملية ،

وإنما أكتفي بذكر ثلاث خصائص تتجلى في المناهج إضافة على تلك الخصائص السابقة ، وهي : الانضباط ، والتدرج ، والاستمرار .

١ ـ خصيصة الانضباط :

وتعني : « الالتزام بالأحكام الشرعية »

فإن الداعية ملتزم بالأحكام الشرعية في جميع أموره وتصرفاته ، سواء في وضع مناهجه ، أو في اختيار أساليبه ووسائله ...

فالمناهج البشرية التي يضعها الدعاة للناس ، لابد أن تكون منبثقة عن المناهج الربانية التي جاء بها الكتاب والسنة ، ولايتصور أن يتمكن بشرٌ ما من وضع منهج أهدى وأقوم من منهج الله عز وجل ، قال تعالى :

﴿ إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ﴾ [1] .

---

(١) الآية / ٩ / من سورة الإسراء .

وذلك في جميع مناحي الحياة ، لأن الله الخالق هو العليم وحده بما يصلح الخلق ويسعدهم في دنياهم وأخراهم ... ﴿ أَلا يَعْلَمُ من خَلَق ، وهو اللطيفُ الخبير ! ﴾ (١) .

والانضباط بالحكم الشرعي درجات متفاوته ، يتفاوت فيها المسلمون عامة ، فعلى الدعاة أن يحرصوا على أعلى درجات هذا الانضباط ، وذلك لتَسلَم دعوتهم ، وينجح عملهم ،

وإن الانحراف عن منهج الله في الدعوة ، أو الخروج عن أحكام الشريعة في المنهج قد يصل بالمرء إلى الخروج كلياً عن هذا الإسلام أو يوقعه في شيء من الضلال أو الفسق ، وذلك بحسب زاوية انحرافه ، وطبيعة الموضوع الذي خالف فيه ...

لذا ، كان على الداعية أن يحرص على الانضباط الكامل في نفسه ، ويدعو الآخرين إلى ذلك بحسب درجة انحرافهم عنه ، فيدعو المنحرف إلى حرام إلى تركه واجتنابه ، كما يدعو الواقع في المختلف فيه إلى العمل بالمتفق عليه ، ويدعو الآخذ بالمفضول إلى الأخذ بالفاضل وهكذا دون إفراط أو تفريط ...

٢ ـ خصيصة التدرج :

الأصل في المناهج أن تكون متناسبة مع من وضعت لهم ، وذلك بحسب الأعمار والأحوال والمستويات ...

ومن هنا تعددت شرائع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ومناهجهم ،

---

(١) الآية / ١٤ / من سورة الملك .

قال تعالى :

﴿ لِكُلٍ جَعَلْنا منكم شِرْعةً ومِنْهاجاً ﴾ [1] .

ومن هنا : نزل القرآن الكريم على الرسول ﷺ متدرجاً ، قال تعالى :

﴿ وقال الذين كفروا : لولا نُزِّلَ عليه القرآنُ جُمْلَةً واحدةً ، كذلك لِنُثَبِّتَ به فؤادَك ، ورتَّلْناه تَرْتيلاً ﴾ [2] .

وفي الحديث عن عائشة رضي الله عنها :

« إنما نزل أول مانزل منه ـ أي : من القرآن الكريم ـ سورةٌ من المفصَّل فيها ذكر الجنة والنار ، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام ، نزل الحلال والحرام ، ولو نزل أول شيء لاتشربوا الخمر ، لقالوا : لاندع الخمر أبداً ، ولو نزل : لاتزنوا ، لقالوا : لاندع الزنا أبداً »[3] .

فقد كان منهج القرآن البدءَ بتفصيل أمور العقيدة وتثبيتها ، ثم ببيان الأحكام الشرعية شيئاً بعد شيء ، حتى نزل قوله تعالى :

﴿ اليومَ أكْمَلْتُ لكم دِينَكم ، وأَتْمَمْتُ عليكم نِعْمتي ، ورَضِيتُ لكم الإسلامَ ديناً ﴾ [4] .

فقد كمل الدين ، وتمت النعمة ، بما نزل من أحكام في القرآن

---

(١) الآية / ٤٨ / من سورة المائدة .

(٢) الآية / ٣٢ / من سورة الفرقان .

(٣) الحديث رواه البخاري في باب تأليف القرآن ، انظر « صحيح البخاري مع الفتح » (٤٩٩٣) (٣٩/٩) .

(٤) الآية / ٣ / من سورة المائدة .

الكريم ، وبمنهج التدرج الذي نزل به ، ولو نزل دفعة واحدة ، لشق الأمر على الناس ، وصعب عليهم امتثال أحكامه . وفي هذا درس بليغ للدعاة ليتدرجوا في مناهجهم ، ويكونوا عوناً للناس على تطبيقها وامتثالها .

وقد تنبّه لهذه الخصيصة أسلافنا الصالحون ، فساورا على نهج التدرج في الأمور حتى وصلوا إلى ما وصلوا إليه ،

روى الشاطبي في الموافقات : « أن عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز ـ رحمهما الله ـ قال يوماً لأبيه عمر : مالكَ لا تُنْفِذ الأمور ؟ ! فوالله ما أبالي لو أن القدور غَلَتْ بي وبِكَ في الحق ! !

قال عمر : لا تَعْجل يابني ، فإن الله ذم الخمر في القرآن مَرَّتين ، وحرمها في الثالثة ، وإني أخاف أن أحمل الحق على الناس جملة ، فيدفعوه جملة ، ويكون من ذا فتنة »[1] .

٣ ـ خصيصة الاستمرار :

الأصل في المناهج الدعوية أن تكون مستمرة لاتنقطع أو تتوقف في مرحلة من مراحل الدعوة ، أو في مستوى من مستويات الدعاة ...

لأن الدعوة الإسلامية حركة مستمرة على مستوى التبليغ والتعليم والتطبيق ، لاتتوقف مادامت هناك حياة للبشر ، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ...

---

(١) انظر « الموافقات » (٢/٩٣ و ٩٤)، وهو في « حلية الأولياء » لأبي نعيم (٥/٢٨١)، وفي « مناقب عمر » لابن الجوزي ص : ٨٨ ، ونقله القرضاوي في كتاب « بينات الحل الإسلامي » ص : ٨٨ .

قال تعالى : ﴿ واعبُدْ ربكَ حتى يَأْتِيَكَ اليَقين ﴾ [1] وقال أيضاً :

﴿ هو الذي أرسَلَ رسولَه بالهُدى ودينِ الحقِّ ليُظْهِرَه على الدينِ كُلِّه ... ﴾ [2] .

وبناء الشخصية المسلمة ، والمجتمع المسلم عملية مستمرة مترقية لاتقف عند حد مُعيَّن ، فكل داعية بحاجة إلى نُمُوّ دائم ، ورقيّ مستمر ، حتى يستمر عطاؤه ، ويدفع غيره إلى الكمال والرقيّ ، وقد وجه الله عز وجل رسوله ﷺ إلى طلب الزيادة في العلم ، فقال له :

﴿ وقُلْ ربِّ زِدْني علْماً ﴾ [3] ، وجاء في الحديث الشريف :

« إن الله عز وجل تابَعَ الوحْيَ على رسول الله ﷺ قبل وفاته ، حتى تُوفِّيَ أكثر ماكانَ الوَحْي »[4] ، وفي الحديث أيضاً :

« لن يَشْبَعَ مؤمن من خير حتى يكون منتهاه الجنة »[5] .

ولم يعرف أسلافنا ـ رحمهم الله ـ توقفاً عَن العلم والتحصيل والترقي في الخير في سِنٍّ معينة ، كما لم يعرف فيهم من ظن بنفسه أنه استغنى عن الأخذ والتَحْصيل ، واكتفى بالعطاء ، كما يحدث لبعض الدعاة في زماننا ،

---

(١) الآية / ٩٩ / من سورة الحجر .

(٢) الآية / ٣٣ / من سورة التوبة .

(٣) الآية / ١١٤ / من سورة طه .

(٤) الحديث متفق عليه ، انظر « صحيح البخاري مع الفتح » (٤٩٨٢)(٣/٩) ، و « صحيح مسلم » رقم (٣٠١٦) .

(٥) الحديث رواه الترمذي وقال : حديث حَسنٌ ، انظر « سنن الترمذي » (٢٦٨٧) .

روى الخطيب البغدادي بسنده عن الإمام أبي حنيفة ـ رحمه الله ـ أنه قال :

« من ظن أنه يستغني عن التَعلُّم فليَبْكِ على نفسه »[1] .

لذا ، فإن على الدعاة أن يحرصوا على الزيادة في الخير ، فيعملوا على تنمية عقولهم ، والترقي بقلوبهم وأحوالهم ، ليزيد عطاؤهم ، ويعظم أثرهم .

وعلى الجماعات الإسلامية أن تضع المناهج التربوية لجميع أفرادها وعلى جميع مستوياتهم ، لتبقى في نمو دائم ، وترَقٍّ مستمر ،

إلى غير ذلك من خصائص فرعية ، يندرج كثير منها تحت الخصائص العامة للمناهج ...[2]

* * *

(١) انظر « الفقيه والمتفقه » (٢/٤١) ، وقف فيه على سبب ورود هذا القول عن الإمام ، ففيه درس وعبرة .

(٢) راجع في هذا رسالة « هذه الدعوة ماطبيعتها ؟ » للشيخ عبد الله علوان رحمه الله ، نشر دار السلام .